

التلمذة ليسوع

الخورية سميرة عوض ملكي

إن هذا المقطع الإنجيلي ورد ذكره في الأناجيل الأربعة مع اختلاف طفيف في السرد بين إنجيلي وآخر. محوره الأساسي دعوة يسوع المسيح للتلاميذ الأربعة الأولين.

مَن يقرأ إنجيل اليوم يجده واضحاً، جلياً، من حيث سير القصة. لكن قد تخطر على بال القارئ أسئلة كثيرة: لماذا اختار يسوع تلاميذاً ليكونوا معه؟ ولماذا اختارهم صيادي سمك وكيف سيكونون صيادي الناس؟ هل على كل شخص يريد اتباع يسوع ترك كل شيء حتى الأهل أنفسهم؟

يسوع هنا يدعو التلاميذ الأربعة الأول لكي يصبحوا صيادي الناس. لكن من ثمّ اكمل العدد إلى اثني عشر تلميذاً أو رسولاً ليكونوا معه، على مثاله، يبشرون بالإنجيل ويدعون الناس إلى التوبة، وقد زوّدهم بسلطانه مكلفاً إياهم بمهمة إيجاد تلاميذ له وتعميد جميع الأمم. والأهم من هذا كله أن يشهدوا بأن المسيح الذي قام من بين الأموات هو يسوع نفسه الذي صاحبه وعاشوه. وهذه هي الشهادة الوحيدة التي تظفي على عملهم الرسولي، بالمعنى الأقوى للفظ، طابعه الفريد. وهكذا يصبح الإثنا عشر تلميذاً أساس الكنيسة، ولهذا نقول في دستور إيماننا "وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية".

وبالتالي، يسوع بدعوته للتلاميذ وبقوله "تكونون صيادي الناس" أراد أن يستمر التكليف الرعائي أو الرسولي المسلّم لهم وأن ينتقل إلى سائر العالم. فمنذ البداية مهّد يسوع نفسه الطريق أمام هذا الامتداد حين "عين سبعين آخرين وأرسلهم" (لوقا ١٠:١).

أما لماذا اختار الرب يسوع صيادين بسطاء ليحوّلهم إلى صيادي الناس ولم يختار حكماً وفلاسفة فالأنه أراد ان تظهر قوته الإلهية العاملة فيهم، كما جاء في العهد القديم حين اختار الله رعاة غنم ليرعوا شعبه كموسى وداود وغيرهما. لأنّ ما يُطلّب من الانسان لكي يصير تلميذاً لله او للرب يسوع، ليس الاستعدادات الذهنية والفكرية او الأدبية، بل النداء الحر الذي يوجهه له يسوع بكلمة "اتبغني" الذي يدلّ لفظها دائماً على الارتباط بشخص يسوع.

إن اتباع التلميذ لمعلمه يسوع ليس كأي تلميذ آخر، فعند اليهود بعد العودة من السبي أصبحت الشريعة الموضوع الأول للتعليم، ولهذا دُعِيَ المعلمون المكلفون بهذا التعليم "معلمي الشريعة". غير أنهم أضافوا شيئاً فشيئاً سلطتهم الشخصية إلى سلطة الله. وقد كانوا ينفصلون عن معلمهم بعد تفقّهم في الشريعة ويصبحون معلمين بدورهم. إن كان تلاميذ المسيح يتميّزون عن تلاميذ اليهود وغيرهم فذلك يرجع إلى أن الله نفسه هو الذي يكلم الناس عن طريق ابنه الذي هو الحكمة الإلهية المتجسدة وشرط اتباعه يعني قطع كل علاقة

بالماضي قطعاً باتاً والافتداء بمثاله وسماع تعاليمه ومشاركة المعلم في المصير نفسه مرتبطاً به أكثر من أمه وأبيه "تركا الشباك وأباهما وتبعاه".

قد يسيء البعض فهم هذه العبارة. إذ كيف للرب الذي يدعو الى محبة حتى الاعداء أن يدعونا إلى ترك أهلنا وعائلتنا؟ إن أساس هذه الفكرة هو أن لا نحب أحداً أكثر منه. وهكذا يشير لقب التلميذ إلى كل مؤمن، سواء عاش في زمن يسوع خلال حياته الارضية وعرفه أو لا، ويكون هو في وضع الاثني عشر انفسهم.

* عن نشرة الكرمة، الأحد الثاني بعد العنصرة ٢٠٢٣